هذا القرن الرابع عشر للهجرة الا وتكون ملكة الآداب عمت البلاد التي ينطق فيها بالضاد اي بالصاد والحاء والخاء والعين والغين والهاء والثاء والظاء ورقيت اجتماعيات الموهوبين من ابنائها امثالكم درجة عالية خصوصاً في البلاد التي كانت كعبة هذه الامة ومبعث انوارها واريد بها الحجاز واليمن ونجد اذ ان فيها بقية من ارباب الذكاء النادر الى الآن من لو تمرنوا على العمل اذا تهيأت لهم الاسباب لاتى على ايديهم خير كثير للامة ولا يرجى ذلك الا متى انقطعت شأفة الفتن من تلك الاقطار وأمن الناس على اموالهم وارواحهم ليتفرغوا او افراد منهم للدرس والاستنارة

هذا ما احضرني في موضوع نهضة العربية الاخيرة القوية في هذه المحاضرة وربما خرجت عن البحث بعض الشيء وسماحة عفوكم تدعني وانتم تعلمون اني على اوفاز استودعكم الله والسلام عليكم

## طريقة التعليم

كان من اول الاصلاح في اوربا اواخر القرون الوسطى واوائل القرون الحديثة لما شرعت الامم الراقية فيها تدرس العلوم المادية والادبية ان اتت على طريقة التعليم فاصلحتها بما يقتضيه حال الزمن والتجارب ثم لها في اوائل القرن الماضي تنظيم مدارسها على النحو الذي نراها عليه اليوم واصبحت بفضلها الطالب يتعلم في بضع سنين لغة او لغتين او ثلاثاً مع ما يحتاج اليه معرفته من العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والادبية والاقتصادية فيخرج الطالب بعد هذه الدروس السطحية الاولية ملماً بفروع كثيرة من مبادئ العلوم واصولها المقررة لاعداد العقول للتفكير والانامل للكتابة والالسن للنطق والاجسام للحركة وهذه الدروس التي منها دروس الموسوعات (الانسكلوبيذية) يسر فيها الطلب على كثير من الطلاب فيما اذا اراد الاقتصار عليها والانصراف الى اكثر الاعمال التجارية والصناعية والزراعية والعلمية . واذا سمت به همته الى الاختصاص في كل واحد من العلوم التي ذكرناها في الجملة تخصص لها ويدخل مدارسها الخاصة كمدارس الزراعة والتجارة والمعادن والميكانيكيات والادب والطب

والهندسة والقضاء والجندية واللغات والفلسفة واللاهوت والاجتماع وغير ذلك من اصناف العلوم التي جعل لكل فرع منها مدرسة خاصة او صف خاص يدرس فيها من تصح عزيمته على الامتياز في احد فروعها ليكون فيها مرجعاً ويبرز على اقرانه فينفع وينتفع

ولولا اصلاح طريقة التعليم والالقاء لم يتيسر للشاب ان يدرس في سنين قليلة مثل هذه الدروس الكلية ولكن اصول الكتب التي أُلفت بحسب سني الطلب وسن الطالب وطريقة الالقاء الشفاهي والاملاء الكتابي هي التي تفتح ذهن الطالب وتحبب اليه الدرس والبحث منذ الصغر فلا يتناول من العلم الا بقدر معلوم ولكنه يتناول اللباب ويطرح القشور ويقرأ المختصرات ابان دراسته كليات العلوم فاذا شب يتناول المطولات فتكون منه على طرف الثمام

فبمثل هذا التنظيم في التعليم ثم الاختصاص في فرع او فرعين نبغ في الغرب رجال في علوم البشر لا شبه بينهم وبين رجالنا في سعة المدارك وبعد الهمم والعلم الواسع وبتربية بنيت على هذا الاسلوب المتقن نبغ في القرون الاخيرة افراد ليس في رجالنا من يضاهيهم او يبلغ شمه ربع علومهم امثال ديكارت وكونت وكانت وباكون وسبينوزا وبيتتزلا وامرسون ونيوتن وهاكسلي وسبنسر وكيتي وشيلر وروسو وفولتير ومئات يتعذر الآن احصاؤهم

هذه المدارس وطرق تدريسها هي التي حرم منها الشرق الا قليلا ولا يرجى تأسيسها على ما يجب في البلاد المصرية والعثمانية الا بعد ان تكون المائة والخمسون طالباً الذين بعثت بهم نظارات الحكومة العثمانية الى كليات أُوربا قد انجزوا الفروع التي يتخصصون لها ويعود اولئك الذين ارسلتهم الجامعة المصرية للاختصاص في فروع متنوعة من العلم يدرسون في الجامعة بالعربية فيتخرج بهم ارباب الرغبات في العلم كما يتخرج الآن في السلطنة العثمانية اناس كثيرون بالرجال الذين درسوا الفنون العسكرية والطبية في المانيا او يتخرج المصريون بالاساتذة القلائل الذين تعلموا في كليات انكلترا وفرنسا والمانيا على نفقة نظارة المعارف المصرية

متى كثر عدد المتعلمين على الطريقة الحديثة واصبح الاستاذ لا يجلس في حلقة تدريسه وعلى منبر الخطابة الا اذا كان افنى شطراً من حياته بالقعود على دكات تلك المدارس الراقية وأسهر الجفن في الليالي وراء المناضد وتخرج بامثال اساتذتها الاعلام

هنالك قل للعثمانيين والمصريين انكم بلغتم درجات الامم الحية لجديرون وانتم اذ انتم ان يهابكم العدو ويحترمكم الصديق . واي سلاح امضى من العلم الصحيح والآداب الراقية واي عامل يجعل غير الحري بالتجلة والاكرام ممن امتاز بصفات الرجولية الحقيقية

لاجرم ان اصلاح التعليم الى الاسلوب الجديد وتدريس علوم الدنيا ينجع اذ ذاك في احياء العلوم الدينية ايضاً لان الارتقاء سلسلة لا يتيسر ان يكون بعضها عاليا وبعضها باليا بل هو كالبناء لا يكون صحيحاً اذا تداعى منه جانب

متى حسنت طريقة التعليم لا يقضي طالب العلم الديني بضع سنين مثلا في تعلم بعض العلوم الآلية ليحسن مطالعة عبارة معربة يغوص كما هو الحال في الروملي والاناضول والشام سنين كثيرة في بحر البناء والمقصود والعزي والمراح والعوامل والاظهار والكافية والشافية والسمرقندية والمختصر والسنوسية والايساغوجي وغيرهما من كتب النحو والصرف والبيان والمنطق ثم لا يتعلم شيئاً من العلوم التي تقصد تعلمها كالتفسير والحديث والفقه والكلام والحكمة .

وذلك كما يغوص طالب العلم في الازهر في قراءة الاجرومية والكفراوي والازهرية وابن عقيل والخضري والصبان وغيره من كتب النحو المطولة والمختصرة ينتقل من واحد الى آخر حتى يفرغ صبره ولو قرأ احد هذه الكتب المطولة قليلاً كابن عقيل وشرحه مثلاً لاغنته عن هذا التطويل الذي يضيع به وقته ويتبلد ذهنه وتفوته الغاية المقصودة من الطلب والعلم آلة لا غاية . ولكن عقم طريقة التعليم قضى ان لا ينظر طلبة الجوامع والمدارس سواء كان في الديار المصرية والبلاد العثمانية الا هذه القوانين والقواعد ويحرموا من تطبيق العلم الى العمل

وليت شعري أليس من فساد طريقة تعليم المشايخ ان لا يقرأ الطالب منهم كتاباً او شذرة من كتب الادب الراقية ليفهم اثناء دراسته النحو والصرف والبيان معاني الكلام الفصيح ويطبق النحو والصرف والبيان والمنطق على العمل ثم يتأتى له تأليف جملة صحيحة عربية وكيف يتأتى للمرء اتقان لغة دون ان يطلع على كلام اهلها وكيف يؤلف الكلام من لا يفهمه وعلم اللغة الاسماع من اصحابها والجري في مناحي نطقها وما اظن الغزالي وابن رشد وابن سينا وابن الطفيل وابن زهر وابا حيان وابن حزم الظاهري والمئات من امثالهم في الاسلام كانوا يعرفون فروع النحو ودقائقه مثل ابن الحاجب وابن عقيل والدركوي والصبان واضرابهم من ائمته ومع هذا انتفعت الامة بكتب

أولئك الفلاسفة والعلماء [illegible] يبق أثره من المعرفة [illegible] ناقصة ولا أسلوب ركيك.

لا يتيسر اتقان لغة من لغات العالم كلها إلا بالسماع من أفواه أهلها وسلوك الطريقة العملية في التعلم ، أما تلقين الطالب جميع قواعد النحو والصرف والبيان والمنطق كما هو الحال الآن في هذا المذهب من التعليم ، والنظر في تحليل الكلام العربي واستخراج [illegible] من مجروره ومنصوبه [illegible] معنى الكلام ولا [illegible] من الحديث [illegible] لما استطاع الطالب أن يفهم روح اللغة العربية [illegible] ومن لم يفهم اللغة [illegible] حريّاً بأن لا يفهم أسرار الشريعة [illegible]

إن المدارس [illegible] كالأزهر [illegible] الطالب [illegible] من [illegible] بالطريقة العقيمة [illegible] شرح [illegible] في أول يوم يشرع [illegible] من الحروف ولا [illegible] من الأسلوب ولا [illegible] من الموصوف [illegible] الطالب [illegible] وقد رأيت من [illegible] سنة [illegible] ولا [illegible] كتب النحو [illegible] طالب

ولقد كان [illegible] من الإصلاح في الأزهر [illegible] الشروح والحواشي [illegible] العلوم العصرية [illegible] الأزهر الشريف [illegible] دروساً مفيدة كثيرة تنفعهم في جهاد الحياة